

الإنسان

لا يختار طريقه

للقديس

يوحنا ذهبى الفم

الإنســـان
لا يختار طريقه

للقديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمة ومقدمة
دكتور
سعيد حكيم يعقوب

اسم الكتاب : **الانسان لا يختار طريقه**

اسم المؤلف : **القديس يوحنا ذهبي الفم**

اسم المترجم : **د. سعيد حكيم يعقوب**

الطبعة الأولى : **أغسطس ٢٠١٦**

رقم الإيداع : **٢٠١٦/١٧٣٩٤**

اسم المطبعة : **جي سي سنتر، مصر الجديدة**

ت: ٢٦٣٣٨١٣٧



قداسة البابا توضرواس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



فهرس المحتويات



I . القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيمًا للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزًا بين الأغنياء والفقراء، وإتساعًا لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعية، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يثنيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى "أنثوسا" فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقًا كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[١].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

١. ضد اليهود،

---

1 Δ.Γ.Τσαμης. " Εκκλησιαστική Γραμματολογία ". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.

٢- ضد يوليانوس والأمم،

٣- عن البتولية،

٤- رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥- الدفاع عن الرهبنة،

٦- الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧- ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس[٢].

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا، وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد

[2] Palladuis 5.

بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) - قال البعض إن هذا قد حدث بسبب نفيه - فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى. لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع

أفذوكسيا، وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقًا. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[٣].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧هاتور ٢٧نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (Π.Γ. 47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا.

---

[٣] المرجع السابق، ص١٦٥.

+ سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة (Ἀκατὰληπτο τῆς θείας φὺσης)

+ ١٢ عظة " للمعمدين الجدد".

+ ٨ عظات " ضد اليهود".

عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة.

+ عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو

الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية.

+ عن الزواج والبتولية

عظات في الأعياد والمواسم:

+ عن ميلاد المخلّص. + عن الظهور الإلهي.

+ عن عيد الخمسين. + عن صلب المخلّص.

+ عن القيامة. + عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

مديح للشهداء والأبرار القديسين:

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

رسائل:

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.



مقدمة



مقدمة

ترتبط النقطة الرئيسية في هذه العظة، بحرية الإرادة، أي هل للإنسان الحرية في إتخاذ قرارته، وأعماله، وبناء على ذلك يصبح مسئولاً عنها، أم أنه لا يملك هذه الحرية، فيكون غير مسئول عنها؟ الدافع لإلقاء هذه العظة، هو شرح الآية التي جاءت بإرمياء النبي: "عَرَفْتُ يَا رَبُّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ طَرِيقُهُ. لَيْسَ لإِنْسَانٍ يَمْشِي أَنْ يَهْدِيَ خَطَوَاتِهِ"[٤]. الإجابة التي قدمها القديس يوحنا ذهبي الفم ردًا على هذا التساؤل، هي أن الله قد أعطى الإنسان الحرية والحق لإختيار الطريق المناسب، بل وما سوف يُقدِم عليه من أعمال، وبناء على ذلك يكون الإنسان مسئولاً عن كل أعماله. ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه لهذه الآية، الهدف منه، هو توضيح المعنى الحقيقي غير المُعلن في ظاهر الآية. فقد أكد البعض على أن طريق الإنسان لا يعتمد على إرادته، بل ولا يستطيع الإنسان وحده، حتى وإن أراد، أن يُتمِّ كل شيء. لذلك كانت الإجابة واضحة

---

[٤] إر ١٠:٢٣.

بشكل كاف، فالمسئولية عن إتخاذ القرار وتنفيذ أي عمل، هو أمر يخص الإنسان دون غيره، إلا أنه، وهذا حق، لا يستطيع في كل الأحوال أن يُتممها بمفرده، بل دائمًا ما يحتاج إلى تدخل اللّه. ففي الحالات التي يعجز فيها الإنسان عن تحقيق أمر ما، فإنه يطلب معونة اللّه، وعندئذ يستجيب اللّه لمساعدته ويُعينه، لكي يُتمِّم ما بدأه. والإنسان يتحمل جزء بسيط من العمل، أما الجزء الأكبر فيتعهده اللّه بالإهتمام والعناية. إن الشرط الأساسي في ما يتعلق بتدخل اللّه، يتوقف على طلب الإنسان لهذا العون، وأن يكون واثقًا في إستجابة اللّه لهذا الطلب.

وقد وَجَدَ القديس يوحنا ذهبي الفم أن الفرصة سانحة، لكي ينتقد تلك الإنحرافات التي تناولت نصوص الكتاب المقدس آنذاك، بطرق مختلفة. حيث إنتقلت التفسيرات المغلوطة لتلك النصوص من فم لفم، ناسبين إلى الأنبياء آراء مختلفة بعيدة كل البعد عن تلك الآراء الحقيقية التي نادى بها هؤلاء الأنبياء. ما يؤكد عليه القديس يوحنا ذهبي الفم

بصفة دائمة، أنه لا ينبغي أن نقتطع أجزاء من النص الكتابي، ونهمل الأجزاء الآخرى، لأنه بهذه الطريقة نكون قد زيَّفنا الحقيقة، بشكل مُتعَمَد.

نص هذه العظة موجود في بترولوجيا ميني (Migne) Τόμος 56, σελ. 153-162.



تمهيد



تمهيد

إن هذا الطريق المحسوس والمرئي، هو طريق كبير وممتد، بعض أجزائه، مُمهدة، ومستوية، أما بعضها الآخر فمرتفع، وخارج عن المألوف. وأسفار الكتاب المقدس أيضًا، هي كذلك، بعض المقاطع مفهومة في ذاتها، لكن البعض الآخر، يحتاج إلى تعمّق، وجهد لشرحه وتوضيحه. فعندما نمشي في طريق ممهد، وطبيعي، فإننا لا نحتاج إلى حرص زائد، أما عندما نسلك طريقًا سيئًا، وضيقًا، ووعرًا، ويتجه نحو قمة جبل، وهذا الطريق مقطوع من الجانبين، وتحته هوة سحيقة، عندئذ ينبغي على النفس أن تكون هادئة، ومتيقظة، لأن سوء المكان وخطورته، لا يجعلنا أن نسترخى، ونُقلّل من حرصنا. وحينئذ إن لم يحترس أحد، وتغافل ولو لحظة، وإنزلقت قدمه، فإنه سيسقط ويهلك. أيضًا إذا فكّر في السياج أو السور الذي كان يجب أن يكون موجودًا، فإنه ستيعرض إلى دوار وترنح، وسيسقط في الخلاء.

أما بالنسبة للأسفار المقدسة، فيستطيع المرء أن يَعْبر على النصوص السهلة المفهومة، بلا جهد، بيد أن النصوص العسرة الفهم، والرمزية، فليس من السهل أن يَعبْر عليها المرء هكذا.

لذلك ينبغي علينا جميعًا، أن نكون هادئين، ومُتيقظين، عندما نقرأ هذه المقاطع، حتى لا نُعرِّض خلاصنا للخطر. هذا هو السبب، الذي يُلزمنا أن نجعلكم تتآلفون مع النصوص الأكثر سهولة، ومن ثمَّ ستقودكم هذه النصوص السهلة، إلى النصوص الأكثر صعوبة، وذلك حتى نُخفف من جهدكم وتعبكم، ونُقاوم فيكم التراخي الروحي. ومثل الكثيرين الذين يتراخون، ويتمتعون بحياة سهلة، هكذا أيضًا، كل الذين يُنقادون دومًا إلى كل ما هو صعب، فإنهم يتركون كل محاولة، ويستعفون من بذل الجهد. إذًا يجب أن يكون أسلوب التعليم، مزيجًا من طرق متنوعة، ولا يلجأ أحد لطريقة أو أخرى في التفسير، حتى لا يُجهَد عقلكم أكثر مما ينبغي، ولا يضعف أيضًا عندما يتعب متجاوزًا الحالة الطبيعية، فيهجر كل محاولة. لذلك بعدما أشرنا

إلى القديس بطرس، والقديس بولس، والمخاصمة التي وقعت فيما بينهما في إنطاكية، وبرهنّا لكم بالأكثر، كيف بدى الأمر كما لو كان معركة بينهما، لكن بحسب الجوهر كانت أكثر نفعًا من أي هدوء وسكينة. لقد قدناكم إلى ذلك الطريق الوعر والصخري، ولكن نظرًا لأننا رأيناكم مُجَهدين، فقد طرحنا لكم في اليوم التالي، موضوعًا آخر أكثر سهولة، وحدّثناكم عن مديح الطوباوي أفستاسيوس، ثم تحدثنا عن الشهيد الشجاع رومانوس.

لقد كان السامعون آنذاك أكثر بهاءًا، وبالأكثر المهللين، وكان الصياح مدويًا، كما لو أن شخصًا قد أُجهِدَ كثيرًا، وناله قسطً وافرًا من التعب، ثم دخل إلى مكان مرح، وهناك أشرق من الفرح، وإبتهج، خاصةً وقد أصبح لا يرى أمامه أي شيء مُزعج، ومُتعب، بل راحة تامة، ومسرة، وتمتعًا. نفس الأحاسيس هي لديكم أنتم أيضًا تجاهي، فبعد المتاعب والصعوبات التي نتجت عن مُتابعتكم الدقيقة، دخلتم كما إلى مرعى، لتستمعوا إلى

مديح الشهداء، وبهدوء نفسي كبير، تمتعتم بذلك الفرح. لا تُوجد دوافع للتفسيرات المنحرفة، ولا للإبتداعات ولا لسوفسطائين، لكن لأن لا أحد كان يُقاوم، فإن الكلمة التي حصّنت نفسه (يقصد الشهيد رومانوس)، جعلته يُجاهد ويُقاوم، طليقاً وحرًا. لذلك كان أكثر بهاءًا وإحتفالاً، وتمتع بمديح وثناء أكثر.

فعندما يتابع السامعون الكلام بسهولة وإنسيابية، فإنهم يشعرون بهدوء وسكينة كبيرة، إذًا بعدما أكّدنا لكم على تلك الأجزاء بشكل كافٍ، ولم نقدم لمحبتكم أي شيء مُتعب أو صعب، فعلينا أن نقودكم اليوم إلى التدريب الروحي السابق، ولنأتي بكم إلى المقاطع الكتابية التي تحتاج إلى جهد وتفكير أكثر، لا لكي نُنهككم أو نُضعفكم بسبب الجهد المطلوب، بل من خلال هذا التدريب، نُعطيكم الإمكانية لقراءة هذه المقاطع، دون أن تتعرضوا لخطر تحريف المعنى أو إساءة التفسير. هكذا فقد إعتقدنا في البداية، أن هناك معركة، وتشاحن بين الرسل، ولكن عندما

رفعنا هذه العوائق الرهيبة، رأينا ثمار الروح القدس السامية: المحبة، والفرح، والسلام. تَعَبنا إذًا لم يكن بلا هدف، ولا بلا فائدة، بل قد إنتهى إلى حالة من البهجة والفرح. وبناء على ذلك فإننا اليوم من خلال الصبر والإحتمال، قد إستطعنا أن نعبر الطريق الذي فُتح أمامنا، وتمكّنا أن نصعد إلى القمة، فأنا لديَّ الإعتقاد، بأننا سنجد كل شيء - في الموضوع الذي سنتناوله - مُمهدًا وطبيعيًا، وسهل العبور، تُرى ما هو موضوعنا اليوم؟ هو ما قُرأ اليوم حسبما جاء بإرمياء النبي" عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه ليس الإنسان يمشي أن يهدي خطواته". هذا هو موضوعنا.



الإنســـان

لا يختار طريقه



الإنسان

لا يختار طريقه

تقييد العقل وتقليص دوره:

وأنتم أيضًا مثلما أظهرتم رغبة آنذاك، هكذا الآن قد عبأتم قواكم، لأن موضوع اليوم، ليس بأقل من السابق، ويتطلب إهتمامًا أكثر. لماذا؟ لأن هذا أمر طبيعي، إذ أن قليلين هم الذين كانوا يعرفون ما دار بين القديس بطرس، والقديس بولس، وصدَّقوا بأن هناك معركة فيما بينهما، ولكن في الحقيقة لم توجد بينهما أي معركة، فهي لم تكن مُعلنة، وكما هو مُتوقع، لم يترتب عليها أي ضرر.

لكن هذا القول النبوي الذي تفوَّه به إرمياء النبي، بدأ يتردد في كل مكان، في البيوت، في الأسواق، في القرى، في المدن، في البر، في البحر، وفي الجزر. بمعنى أنه، أينما تذهب ستسمع الكثيرين وهو يقولون " الإنسان لا يختار طريقة"، ولم يفحصوا فقط هذه العبارة، بل وعبارات أخرى

مشابهة، ربطوها بهذه العبارة، مثل " فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى"[٥]، وأيضًا: "إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ"[٦]. وهم يفعلون كل هذا، لأنهم يحاولون أن يقدموا الأسفار المقدسة، كحجة وذرائع لتراخيهم النفسي، ويهدفون بهذا الكلام أن يُقوّضوا خلاصنا، ورجاءنا، ولكنهم بهذه الكلمات، لا يريدون شيء آخر، سوى التأكيد على أن لا شيء يعتمد علينا نحن، فكل ما يتعلق بنا أو يخصنا، لا يعتمد علينا. إذًا سيكون الوعد بملكوت السموات، باطلاً، والتهديد بنار جهنم باطلاً، وباطلة هي النواميس، والعقوبات والعذابات، والمشورات.

ولكن ما هي النصحية التي يمكن للمرء أن يقدمها، لذاك الذي ليس له سلطان على أي شيء؟ كيف يمكنه أن يَعِد ذاك الذي حُرِمَ من كل إمكانية؟ فإن كان ما يجب أن نفعله، لا يعتمد علينا نحن، فحينئذ فكل مَن يصنع شيئًا حسنًا، لا

[٥] رو٩:١٦.
[٦] مز١٢٧:١.

يستحق مديحنا، وأن كل مَن يرتكب خطية ما، لا يستحق جزاء وعقوبة. فإن إقتنع الناس بأن هذه الأمور هي هكذا، فإن لا أحد في المستقبل، سيقبل بممارسة الفضيلة، ولن يتجنب فعل الشر. اليوم يتحمل الكثيرون المتاعب بصعوبة، لأجل ممارسة الفضيلة، وبصعوبة يبتعدون عن اللذة الشريرة، على الرغم من أننا نتكلم كل يوم عن نار جهنم، ونتحاور حول ملكوت السموات، ونستحضر أمام أعيننا العذابات غير المحتملة، والمكافآت التي تتجاوز أو تفوق الفكر البشري، وننصح، ونحث، ونستنهض النفوس، مستخدمين كل كلمة تخدم هذا التوجه.

ولكن إن قطعت هذه المرساة المقدسة، أفلا يغرق القارب برمته، أفلا يُطرَح الجميع على الفور في قاع البحر، أفلا يحدث غرق كل يوم؟ بالحقيقة لم يُظهِر الشيطان رغبة قوية في شيء، بقدر ما يبيِّن للنفس الإنسانية، بأنه غير محكوم عليها بالعقوبة بسبب خطاياها، وأنها لا تستحق المديح، والتتويج عن أعمالها الحسنة. فهدفه بالطبع، أن يُقيِّد أيادي

الذين يُمارسون الفضيلة، وإبطال إراداتهم، بل ويقوي فيهم اللامبالاة، ويدفع أولئك الذين فقدوا شجاعتهم، إلى التراخي.

لأجل كل ذلك، ينبغي أن نكون حذرين، ومُدققين في كل ما نقوله، فإن لم نقرأ المقطع الكتابي، بعقل نقي، سيكون هناك هوة سحيقة تحيط بنا، وهلاك ينتظرنا.

هل أخطىء النبي؟

هل نستطيع أن نزعم بأن النبي قد أخطأ؟ لكن هذا أمر خطير، طالما أن النبي لا يُخطىء، لأنه يُعبّر عن كلام الله. إذًا أَلم يخطىء النبي بقوله أن أعمالنا لا تعتمد علينا؟ بالتأكيد إن أعمالنا مرتبطة بإرادتنا نحن، وإن النبي لم يخطىء، فإن كنتم مُدققين، فإني سأبرهن لكم على الأمرين. هذا الموضوع قد ألزمني أن أبيّن الهوة السحيقة التي تُحيط بنا، حتى نعبر الطريق الذي فُتح مرة أخرى أمامنا، بعقل يقظ.

ينبغي أن لا تفحص فقط عبارة " الإنسان لا يختار طريقه"، بل أيضًا وما لحقها من كلام، وعليك أن تبحث في الآتي: لمن قيلت، ولاي سبب قيلت، ومتى وتحت أي متطلبات. إنه لا يكفي أن يقولوا إنه مكتوب في الأسفار المقدسة، ولا أيضًا أن يقتطعوا كلمات، ويقسموا وحدة الأسفار المقدسة الموحى بها، آخذين فقط الكلمات التي اقتطعوها عن باقي النص، مُحطمين قوة هذه الأسفار، وحقيقتها.

وبهذه الطريقة، دخلت إلى حياتنا، أفكار كثيرة مُزّيفة، لأن الشيطان يحاول بصفة دائمة أن يُقنع المرضى روحيًا، أن يقرأوا نصوص الكتاب المقدس بطريقة مُنحرفة، إما بالإضافة، وإما بالحذف، حتى تختفي الحقيقة. إذًا لا يكفي أن تقول، مكتوب في الكتاب المقدس، بل ينبغي أن تقرأ النص كله، بمعنى أنه لو كنّا ننوي أن نقطع المعنى المتصل والمترابط للنصوص، فعندئذ سينتج عن ذلك الكثير من العقائد المنحرفة. مكتوب على سبيل المثال في الكتاب المقدس " ليس إله"[٧]، لكن أخبرني هل لا

---

[٧] مز ١٤: ١.

يوجد إله؟ أَلا يراقب الله كل ما يحدث على الأرض؟ فمَن هو الذي يجرؤ على أن يقول هذا الكلام، أو أن يسمعه؟ بالطبع هذا مكتوب في الكتاب المقدس. لكن إسمع كيف هو مكتوب: " قال الجاهل في قلبه ليس إله". وبناء على ذلك، فإن هذا الرأي، لا يُنسب إلى الكتاب المقدس، بل إلى الجاهل. بمعنى أن الكتاب، لم يقل بهذا الرأي، بل يطرح ويؤكد على رأي إنسان آخر. مثال آخر، يقول الكتاب: " لِمَاذَا أَهَانَ الشِّرِّيرُ اللهَ؟ لِمَاذَا قَالَ فِي قَلْبِهِ: «لاَ تُطَالِبُ»؟، قَالَ فِي قَلْبِهِ: «إِنَّ اللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لاَ يَرَى إِلَى الأَبَدِ"[٨]. وعند هذه النقطة يؤكد أيضًا على فكر ورأي إنسان شرير، وغير مُبالٍ. وهذا المتَّبع أيضًا بالنسبة للأطباء، عندما يتحاورون مع الأصحاء، فإنهم ينتزعون هذيان المعتوهين، والمهوسين، حتى يجعلونهم أكثر بصيرة. إذًا فالتقوى هي صحة النفس، بيد أن العلة، والداء الثقيل، هو الجهل بالله، والكتاب حين يُكرر كلمات الأشرار، إنما يفعل ذلك، لا لكي نسمعها فقط، بل

---

[٨] مز ١٠: ١٣، ١١.

لكي نتحصن نحن ضدها. يتكلم عن ماذا قال الجاهل، حتى تصير أنت عاقلاً، ولكي لا تُصدق كلامه. يتكلم عن ماذا قال الشرير، حتى تتجنب أنت الشر. إذًا ليس فقط لا ينبغي أن نقتطع المقاطع الكتابية من سياقها المنطقي، بل نعرضها بكاملها، ولا نُضيف أي شيء عليها .

الذين يحرفون النص الكتابي:

إلا إن كثيرين ينقلون نصوصًا من هنا إلى هناك، ويُحرفون بعض الأجزاء الكتابية التي تَعرِض لها. يقولون إنه مكتوب: " إن إشتعلت فيك الشهوة فلتتزوج" . وهذا غير مكتوب في أي موضع. ولكن إنتبه، إلى ما هو مكتوب: " وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا. لأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ"[٩]. أتساءل إذًا هل عبارة "التحرق بالشهوة"، هي نفسها التى وردت بالرسالة إلى أهل كورنثوس؟ بالتأكيد هي نفسها. وبالرغم من أن المقطع هو واحد " أي الخاص بالتحرق"، إلا

---

[٩] ١كو٧: ٨-٩.

أنه لا ينبغي أن يتغافلوا عن مقاطع كتابية في مجملها، ويزيفونها، لكي يؤكدوا على معاني كتابية، بواسطة كلمات خاصة بهم. وسنجد أن هناك مسافة كبيرة بين المعنيين. فعلى سبيل المثال إن قلت فقط " إن تحرقت بالشهوة فلتتزوج"، فهذا يعطي الحق لأولئك الذين فضَّلوا حياة البتولية، أن يتحللوا من عهدهم مع الله، ونذرهم للبتولية، عندما يتعرضوا لضغط الشهوة، بل وأن يَفروا إلى مؤسسة الزواج وينسوا وعودهم السابقة.

فإن أدركت لمن يوجه الرسول بولس رسالته هذه، بمعنى كيف أنه لا ينصح أو يُرشد الجميع بشكل عام، بل ينصح كل مَن هم غير متربطين بعهد، سيُمكنك أن تحتمل هذه القوة المؤذية والمدمرة. يقول: أتوجه إلى " غير المتزوجين وللأرامل". ليس بالطبع لمن قرروا أن يَبقين أرامل، بل لأولئك اللآتي لم يُقررن بعد، عدم الزواج، ولا الترمل، هكذا هن قائمات في منطقة حرجة، حتى يُقررن إختيار هذا الطريق أو ذاك. النموذج هو المرأة التي فقدت زوجها، لم يتضح بالنسبة لها، ولا حدَّد الرسول بولس، إن

كان يجب عليها أن تفضَّل حياة الترمل، أم تأخذ زوجًا ثانيًا، لكنه قال: " أنصح هذه الزوجة كيف أنه حسنًا لها أن تلبث أرملة. لكن إن لم تستطع أن تحتمل هذا الثقل، فلتتزوج.

لكنه لم يقل كيف لأولئك اللآتي فرضن على أنفسهن هذا الإلتزام، وقررن أن يلبثن في حياة الترمل، وقطعن هكذا عهدًا مع الله، أن يُقبلن على الزواج الثاني. لذلك فإنه في رسالته إلى تيموثاوس، يقول: " أَمَّا الأَرَامِلُ الْحَدَثَاتُ فَارْفُضْهُنَّ، لأَنَّهُنَّ مَتَى بَطِرْنَ عَلَى الْمَسِيحِ، يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ، وَلَهُنَّ دَيْنُونَةٌ لأَنَّهُنَّ رَفَضْنَ الإِيمَانَ الأَوَّلَ"[10]. أَرايت كيف أنه في هذه الرسالة قد بكَّتهن، وطلب إدانتهن، مُعبرًا عن رأيه بأنهن مُدانات ويستحققن اللوم والتأنيب، لأنهن نقضن عهدهن مع الله، ولم يحفظن نذرهن؟ وبناء عليه فإنه من الواضح كل الوضوح من خلال كل هذا، كيف أن هذا الجزء من الرسالة، لا يُشير إلى أولئك اللآتي كنَّ مرتبطات بوعد أو نذر. إذًا ينبغي أن لا نتكلم بالتعميم في كل حالة أو ظرف معين،

---

[10] ١تيمو٥: ١١-١٢.

بل أن نعرف الأشخاص الذين تتوجه لهم الأسفار المقدسة.

الإساءة إلى العقائد:

ويروج كثيرون أيضًا لمقطع آخر، محرفين ليس في ترابطه، بل بإضافة جزء غير مكتوب. مثل هذه هي حيّل الشيطان الذي من خلال الإضافة أو الحذف، أو التحريف، او تمزيق النصوص، يُدّمر العقائد. ما هو هذا المقطع؟ يقول الكتاب: " لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ"[11]. " وأنا أعطيه لمن أشاء". جزء واحد فقط من هذه الآية هو المكتوب بحجي النبي، أما الجزء الآخر فلم يُكتب، ومن الواضح أن شخصًا ما، قد أضافه. لقد قال النبي حقًا "لي الفضة ولي الذهب قال رب الجنود"، لكن عبارة " وأنا أعطيه لمن أشاء"، لم توجد قط، ويُروَّج لها، بسبب جهل الكثيرين.

يا لها من أضرار تنجم بسبب ذلك. إن كثيرين من الأشرار الأدنياء، المشعوذين، والفاسقين، غير

---

[11] حجي٢:٨.

المستحقين أن ينظروا حتى هذه الشمس، ولا أن يعيشوا، ولا أن يتنفسوا، إنهم يتمتعون بكل هذا الغنى، فهم يسلبون كل شيء، يسلبون بيوت الأرامل، يسيئون معاملة الأيتام، وبشكل عام يستبدون بمن هم أقل منهم. لأن الشيطان يُريد أن يُقنع الناس، بأن كل غنى وثراء مصدره السماء، ويأتي من النعمة الإلهية، حتى يُثير بهذه الطريقة، أكبر تجديف ضد الرب، آخذًا عبارة الكتاب: " لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود،" ثم يُضيف إليها عبارة أخرى غير مكتوبة " وأنا أعطيه لمن أشاء"، لكن حجي النبي لم يقل هذا.

فعندما عاد اليهود من السبي البابلي، وكان هدفهم إعادة بناء الهيكل، وبالعظمة اللائقة التي كانت له، وُجِدوا في وضع صعب، لأن الأعداء كانوا يُحيطون بهم من كل جهة، وفقرهم كان كبيرًا، ولم يكن هناك أملاً في تحقيق الرخاء أو الرفاهية. لكنهم أرادوا أن يُشعلوا داخلهم رجاءًا صالحًا، يُقنعهم أن يتشجعوا حتى النهاية. يقول لهم كممثل عن الله: " لي الفضة ولي الذهب " وأن المجد

النهائي لبيته، سيكون أكثر قيمة وأهمية من بهائه الأول.

وهل هناك علاقة تربط بين ما طرحناه وبين موضوعنا الأصلي؟ بالطبع هناك علاقة من حيث أنه لا ينبغي في كل الحالات، أن نتناول مقاطع من الكتاب المقدس، بعيدًا عن هدفها، ولا أن نقتطعها من سياقها المتصل، ولا أن نفصلها عن تتابعها الزمني المنطقي، ولا أن نأخذ الكلمات معزولة، ومجردة عن معنى الكلمات اللاحقة أو الكلمات السابقة عليها، وهكذا ننقاد إلى فساد في المعنى، ونستهزأ بالمكتوب. وبناء عليه أَلا يُعتَبر أمرًا يدعو للعجب، عندما نكون في المحكمة، ونصارع من أجل ظروف الحياة اليومية، ونستخدم كل حقوقنا، ونقدم كل الأصول المتعلقة بالمكان والزمان، والأسباب، والأشخاص، وأمورًا أخرى شبيه بذلك، في الوقت الذي فيه، قد فُتِحَ أمامنا باب الجهاد لأجل نوال الحياة الأبدية، ونحن نتناول مقاطع كتابية، هكذا بلا هدف وبلا منطق؟

ومع هذا فإن لا أحد، يستطيع أن يقرأ القانون الملكي هكذا بعشوائية، وبلا هدف محدَّد، وكما يتصادف، لأنه سيُعاقَب، ويُحكَم عليه بالموت، إن لم يذكر الزمن، والمشرّع، وإن لم يُقدمه صحيحًا وكاملاً. ونحن أيضًا بالرغم من أننا لا نقرأ قانون البشر، بل القانون الذي آتنا من السماء، هل لنا أن نستخدمه بنفس رخوة أو بتراخٍ، حتى نُقطّع أوصالة، وأعضاءه؟ أية حالة تلك التي نصبح فيها هكذا، مُستحقين للدفاع عن أنفسنا، ومستحقين للصفح عن خطايانا؟

الدفاع عن الحق

ربما أَطلت في حديثي أكثر مما ينبغي، لكن ليس بلا هدف، بل حتى أبعدكم عن هذه العادة السيئة. إذًا يجب أن ندقق حتى نصل إلى المنتهى. لهذا الهدف قد ولدِنا، لا لكي نأكل ونشرب، ونلبس، بل لكي نتجنب الشر، ونفضّل ممارسة الفضيلة، مُتمتعين بالحكمة الإلهية. ومن حيث أننا لم نُولد لكي نأكل ونشرب، بل لهدف أسمى، وأفضل، إسمع ماذا يقول الله ذاته الذي يُشير إلى الهدف الذي

من أجله خُلِق الإنسان: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"[١٢].

لكن لن نصر مثل الله، عندما نأكل ونشرب، ونهتم بملابسنا، فالله لا يأكل، ولا يشرب، ولا يلبس، بل عندما نسلك ببر، ونُظهِر محبة للآخرين، نحيا بالفضيلة، ونُقدّم البر والرحمة للقريب، ونسعى في أثر كل عمل صالح.

فبالنسبة للطعام والشراب، فنحن نشترك مع الحيوانات غير العاقلة، ولا نعتبر أسمى منها. إذًا فمن أين نستقي إمتيازنا؟ بالطبع من حيث أننا قد خُلقنا على صورة الله ومثاله. يجب أن ننتبه وندقق، بأن نستجمع فكرنا للدفاع عن الحق، وبعدما نضع أمامنا هذا المقطع النبوي، فلنفحصه بتدقيق شديد، ولنعرف مَن قاله، ومتى قاله، ولمن قاله، وكيف كانت الحالة آنذاك في شكلها العام، ولنفحص بشكل عام كل شيء يمكن أن يُساهم في العثور على الحقيقة. مَن قال هذا المقطع، هو إرمياء النبي، وبالطبع هو لم يتوجه بهذا المطلب إلى نفسه، بل

---

[١٢] تك١: ٢٦.

للآخرين من اليهود الجاحدين، غير المبالين، الذين كانوا غير قابلين على الدوام للإصلاح، وكانوا مستحقين للعقاب. لذلك قال الله له: " وَأَنْتَ فَلاَ تُصَلِّ لأَجْلِ هذَا الشَّعْبِ.. لأَنِّي لاَ أَسْمَعُكَ"[١٣].

سلطة إتخاذ القرار:

لقد إعتقد البعض أن المقصود بهذا الكلام، هو نبوخذنصر، لأن هذا البربري، حدَّد هدفًا، بأن يهاجم بالجيوش، ويُدمر المدينة، ويرحل منها آخذًا أسرى معه. أي أن النبي أراد أن يجعل الجميع يدركون من خلال ذلك، أن هذا الملك قد إنتصر على المدينة، ليس بإمكانياته، وقوته العسكرية، بل بسبب خطاياهم، إذ أن الله قد وجّهه الحرب، وقادها ضد مدينتهم.

يقول: "عَرَفْتُ يَا رَبُّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ طَرِيقُهُ. لَيْسَ لإِنْسَانٍ يَمْشِي أَنْ يَهْدِيَ خَطَوَاتِهِ"[١٤]. المعنى هو كالآتي: إن هذا الطريق الذي إتخذه هذا البربري الآن، قائدًا جيشه ضدنا ليس هو الذي حدده، ولا

---

[١٣] إر ٧:١٦.
[١٤] إر ١٠:٢٣.

هو ذاته قد أكمل هذه الحرب، وهذا الإنتصار. على العكس، فإن لم تكن أنت يارب قد سلمتنا بين يديه، فما كان له أن ينتصر علينا، ولا كان له أن يسود ويتحكم. لذلك قال أترجاك، وأتضرع إليك، طالما أنك قررت هذا، أن يكون عقابك بمعيار محدَّد: " أَدِّبْنِي يَا رَبُّ وَلكِنْ بِالْحَقِّ، لاَ بِغَضَبِكَ لِئَلاَّ تُفْنِيَنِي"[15].

بيد أن هناك البعض ممًا يختلفون مع هذا الرأي، ويرون أن هذا الكلام، لم يُقل عن نبوخذنصر، بل هو يخص الملامح، والسمات المشتركة لكل البشر. إذًا كيف يمكن التصدى لهؤلاء المنحرفين؟ في البداية، كان يتضرع للدفاع عن أناس سبق وأخطأوا، ولكنه كثيرًا ما واجهته عقبات في رفع هذا التضرع إلى الله. لذلك فقد أَعدَّ المدينة، لكي تنوح أولاً. لأن الله كان يقول له، لا تُصلي لأجل هؤلاء، وأجعل هذه المدينة تنوح أولاً، فقد كانت في حاجة ماسة إلى تعطفات الله، وهكذا سيجد دافعًا منطقيًا، وحجة، لكي يتضرع إلى الله لأجلهم. لذلك

[15] إر ١٠: ٢٤.

يتكلم موجهًا حديثه لله، قائلاً: " وَيْلٌ لِي مِنْ أَجْلِ سَحْقِي! ضَرْبَتِي عَدِيمَةُ الشِّفَاءِ!"، ثم يُضيف " فَقُلْتُ: «إِنَّمَا هذِهِ مُصِيبَةٌ فَأَحْتَمِلُهَا». "خَيْمَتِي خَرِبَتْ، وَكُلُّ أَطْنَابِي قُطِعَتْ. بَنِيَّ خَرَجُوا عَنِّي وَلَيْسُوا. لَيْسَ مَنْ يَبْسُطُ بَعْدُ خَيْمَتِي وَيُقِيمُ شُقَقِي. لأَنَّ الرُّعَاةَ بَلُدُوا وَالرَّبَّ لَمْ يَطْلُبُوا. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لَمْ يَنْجَحُوا، وَكُلُّ رَعِيَّتِهِمْ تَبَدَّدَتْ. هُوَذَا صَوْتُ خَبَرٍ جَاءَ، وَاضْطِرَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ لِجَعْلِ مُدُنِ يَهُوذَا خَرَابًا، مَأْوَى بَنَاتِ آوَى"[١٦]. بعد ذلك، وبعدما حلّت المأساة على تلك المدينة، أضاف: " عرفت يارب أنه ليس للإنسان (أن يختار) طريقة". وقد يقول أحد، إنه يربط هكذا بين النواح، وبين الهلاك القادم كقانون، بعدما ينزع عنّا قوة السيطرة والسيادة، ويزعم بأن أعمالنا، لا تعتمد علينا. إنه لا يقصد ذلك على الإطلاق، بل يقصد العكس. لأنه عندما ينوح الإنسان، ويطلب معونة الله، فإنه يصون نفسه من خطر إساءة التفسير أو تحريف المعنى. أي أنه بعدما قال، كيف: " أنه ليس للإنسان (أن يختار) طريقة"،

---

[١٦] إر ١٠: ١٩-٢٢.

لم يتوقف عند هذا الحد، بل أضاف: " ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته". ما يقوله يعني الآتي: أن كل الأشياء لا تعتمد علينا نحن، بل البعض منها، يعتمد علينا، والبعض الآخر مرتبط بالله. بالطبع أن يُفضل الجميع الأمور الحسنة، ويُريدونها ويسعون في أثرها، ويصبروا ويحتملوا كل تعب بشكل عام، كل هذا يعتمد على إرادتنا في الإختيار. ولكن أن نُكمل كل ذلك ولا نسمح لأنفسنا أن تبقى في المنتصف، حتى نصل إلى نهاية جهادنا، فهذا يعتمد على النعمة الإلهية. أي أن الله قد وضع أدوارًا لحياة الفضيلة، حتى لا يترك كل شيء يعتمد علينا نحن، فننجذب هكذا إلى الزهو والإفتخار، ولا أيضًا أخذ كل شيء في إختصاصه، حتى لا تسقط نفوسنا في لا مبالاة.

جهاد الإنسان وعطية الله:

إن الله ترك القليل فقط يعتمد على جهادنا، بينما الجزء الأعظم، يُتممه ويكمّله هو. إذًا إن كان كل شيء يعتمد علينا نحن، فحينئذ ستكون هذه القدرة، مدعاه لسحب الكثيرين إلى الكبرياء،

والسفاهة. لنضع في إعتبارنا ما قاله الفريسي، ومدى الغرور والكبرياء الذي أصابه، فقد إعتقد بأنه أفضل من جميع الذين في المسكونة. لذلك لم يسمح الله بأن يكون كل شيء معتمدًا علينا، بل فقط جزء يسير، حتى تكون هناك حجة مبررة وعادلة، لكي يكافئنا. وهذا ما قد أوضحه في مثل أصحاب الساعة الحادية عشر الذين أرسلهم ليعملوا في الكرم. ولكن ما هو العمل الذي أنجزوه في الساعة الحادية عشر؟ من المؤكد كان عملاً ضئيلاً، ومع ذلك كانت هذه الفترة الزمنية كافية لدى الله، حتى يهبهم كل المكافأة.

ولكي تفهم أن النبي يتكلم بالصواب، ولا ينتزع منّا، قوة إتخاذ القرار، بل يُعبر عن رأيه بالنسبة لعاقبه الأمور، إسمع الكلام اللاحق، فبعدما قال: " ليس للإنسان أن (يختار) طريقة"، أضاف على الفور: " أدبني يارب ولكن بالحق لا بغضبك"، فإذا لم يكن هناك شيء يعتمد علينا، فحينئذ سيكون كلامه " أدبني يارب ولكن بالحق "، هو بلا هدف.

وعلى جانب آخر، هل هناك ما هو أكثر ظلمًا، أن يُدان كل مَن ليس لديهم سلطانًا على إتخاذ قرارهم، وإتمام أعمالهم، وأن يخضع للعقوبات أناس ليس لديهم أي إختصاص أو قرار على تحديد مسيرة حياتهم. وبناء على ذلك عندما يتضرع وهو يصلي إلى الله، حتى يجعل عقابهم أقل قسوة، فإنه يريد أن يقول بشكل أساسي الآتي: إنهم مستحقين الإدانة والعقاب. وهذا لا يعني شيئًا آخر، سوى أن الإنسان حر، أن يصنع أي شيء، بكامل إرادته. أما إذا كان البشر ليس لهم سلطانًا على قراراتهم، وأعمالهم، فليس فقط، يجب أن تُفرَض عليهم عقوبات خفيفة، بل يجب ألا يُعَاقَبوا على الإطلاق. بل أيضًا ليس هناك أي حاجة، أن يتوسلوا إلى الله، لأنه في هذه الحالة لن ينتظر التوسل من أحد، لكي لا يُعَاقَب أولئك الذين هم غير مسئولين عن أعمالهم.

الله هو الذي يتمم كل شيء:

ولكن لماذا أقول إن الأمر على هذا النحو الذي شرحناه، لا يحتاج إلى تضرع وترجي لله، طالما أنه ليس هناك إحتياجًا لإنسان عاقل أو حكيم؟ إذًا

عندما يتوسل النبي لأجل اليهود، فإنه من الواضح جدًا، أنه يترجى لأجل أناس خطاة، وبالطبع، فإن الخطية تكون فقط، عندما يكون لدينا إمكانية بأن لا نعصي أو نخالف الحق، ومع ذلك نُخطىء ونصير عصاة.

وهكذا بات من الواضح، من خلال ما عرضناه من آراء، أن كل أفعالنا، تعتمد علينا نحن، وعلى الله أيضًا. هذا المعنى يحمله هذا القول: " لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لِلّهِ الَّذِي يَرْحَمُ"[١٧]. وقد يتساءل أحد، لماذا " أحاول"، ولماذا " أريد"، طالما أنني لا أتحكم في شيء، ليس في سلطاني أن أفعل شيء؟ بالطبع هو أمر ضروري أن تحاول، وأن تريد، لكي تنال بإرادتك، ومحاولتك، ورغبتك الحسنة، رضى الله، حتى يُعينك، ويمد لك يد المساعدة، ويقودك نحو النهاية. لكن إن لم تفعل ذلك، وتوقفت عن أن تُريد وتحاول، فليس فقط أن الله، لن يمد اليك يد المساعدة، بل وسيبتعد عنك أيضًا.

---

[١٧] رو٩:١٦.

إن ما قاله المسيح له المجد، لأورشليم يوضح ذلك:
" كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا."[١٨] أرأيت كيف يبتعد الله، لأنهم لم يريدوا؟ لذلك فمن الضروري أن نُريد، وأن نحاول، حتى نجذب الله إلينا. هذا ما يقوله النبي، أي أننا عندما نتمم عملاً، فهذا لا يعتمد علينا فقط، بل وعلى معونة الله أيضًا. ولكن حرية إختيار أعمالنا، مرتبط بنا، وبقرارنا. وقد يكون هناك من يدّعى الآتي: كون أنني أُتمِّم عملاً ما، فهذا متروك في يد الله، إذًا ففي حالة عدم إتمامي له، هل من العدل، أن لا أخضع لأي عقاب؟ بمعنى أنه عندما أقوم بكل ما هو معتمد عليَّ، وأُظهِر نية حسنة، وأتخذ قرار، وأضعه موضع التطبيق، غير منتظر مساعدة مَن يسود ويحكم، فعندئذ سأكون متحررًا من كل إدانة. لكن الأمر ليس هكذا، لأنه من المستحيل أن يتركنا الله، عندما نُظهِر رغبة، ونختار شيئًا، ونتمناه بإرادتنا الحرة، أي إن كان

---

[١٨] مت٢٣: ٣٧.

الله يشجع ويساند كل من ليس لديهم هدفاً نحو شيء ما، لكي يُنمى فيهم حرية الإرادة، فبالأكثر جداً، لن يترك أولئك الذين يملكون إرادة قوية. يقول: "تأملوا القدماء هل تؤكلوا على الرب فخابوا أو ثبتوا على مخافته فخذلوا"[١٩].

يقول الرسول بولس أيضاً " الرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي"[٢٠]. بالطبع يتحدث عن الرجاء في الله، أي عن الذي يضع رجاءه كاملاً على الله، ويُقدم كل ما هو مطلوب منه. هذا من المستحيل أن لا يصل إلى ما يتمناه. وفي موضع آخر يقول: "وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا"[٢١]. يقول رجل حكيم: " إن أردت خدمة الرب فاستعد للتجربة"[٢٢]. وقولٌ أخر ينصح بأن: " الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ"[٢٣]. كل هذه، هي مبادىء، وقوانين، وعقائد راسخة لا تهتز، بل لابد أن تثبت في

[١٩] يشوع بن سيراخ٢:١٠.
[٢٠] رو ٥:٥.
[٢١] اكو١٠:١٣.
[٢٢] يشوع بن سيراخ ٢:١.
[٢٣] مت٢٤:١٣.

نفوسكم. فمن المستحيل، أن يترك الله، ذاك الذي يُظهِر رغبة، ويهتم بخلاصه، ويضع نفسه بين يديه. أَلم تسمع ماذا قال المسيح للقديس بطرس: " هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ"[٢٤]. أي أنه عندما يرى أن الحمل، أكبر بكثير من قدرتك، حينئذ يمد يد العون، ويخفّف من التجربة. ولكن عندما يتأكد من أن الناس يبتعدون عن خلاصهم، بسبب توانيهم وإهمالهم، فعندئذ يتركهم. بالتأكيد، الله لا يُلزمهم، ولا يجبرهم على شيء، لكن كل ما فعله بواسطة تعليمه، هذا سيحدث في هذه الحالة أيضًا. والذين لم يكن لديهم رغبة في الإستماع لتعاليمه، وإبتعدوا عنه، لم يجذبهم إلى جانبه، ولم يجبرهم على أن يسمعوه. أما بالنسبة للذين إهتموا بخلاصهم، فقد أوضح لهم كل ما كان غامضًا، وفسَّر لهم كل ما كان مُبهمًا. نفس الشيء قد فعله في ظروف مختلفة. لذلك فإن فاقدي الحس والرغبة، لم يجبرهم، لكن أولئك الذين

---

[٢٤] لو٢٢: ٣١-٣٢.

أظهروا من تلقاء أنفسهم، إهتمام ورغبة في سماعه، نصحهم بكل قوة. لذلك يقول القديس بطرس " أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللّهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ"[٢٥]. نفس الأمر ينصح به إشعياء النبي، قائلاً: " إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ"[٢٦]. لتضعوا هذا في إعتباركم، بل إن الرغبة، والمحاولة، في إن نُريد وأن نحاول، ترتبطان بنا نحن، هذا يدفع اللّه، لكي يساعدنا. إذًا لو أننا جذبناه نحونا، سنصل إلى المنتهى، وسنخلص. لنسهر أيها الأحباء، ونكون متيقظين، ولنُظهِر كل رغبة حسنة لأجل خلاص نفوسنا. هكذا بعدما نتعب قليلاً في هذه الحياة، سنتمتع بخيرات دائمة لا تنتهي، هذه الخيرات التي ليتنا جميعًا أن ننالها بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والكرامة والسلطان، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٢٥] أع١٠:٣٤ـ٣٥.
[٢٦] إش١:١٩ـ٢٠.

• المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة :
١٥,٠٠ جنيه